مجلة العلوم الإنسانية

Journal of Human Sciences

علمية محكّمة - نصف سنوية

تصدرها كلية الآداب/ الخمس

جامعة المرقب . ليبيا

18

العدد

الثامن عشر

Issued by Al - Marqab University
Faculty of Arts alkhomes

مارس 2019م

بسم الله الرحمن الرحيم

((ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ))

صدق الله العظيم

(سورة الروم – آيه41)

هيئة التحريـــر

– د. علي سالم جمعة شخطور رئيساً

– د. أنور عمر أبوشينة عضواً

– د. أحمد مريحيل حريبش عضواً

المجلة علمية ثقافية محكمة نصف سنوية تصدر عن جامعة المرقب/ كلية الآداب الخمس، وتنشر بها البحوث والدراسات الأكاديمية المعنية بالمشكلات والقضايا المجتمعية المعاصرة في مختلف تخصصات العلوم الانسانية.

– كافة الآراء والأفكار والكتابات التي وردت في هذا العدد تعبر عن آراء أصحابها فقط، ولا تعكس بالضرورة رأي هيئة تحرير المجلة ولا تتحمل المجلة أية مسؤلية اتجاهها.

تُوجّه جميع المراسلات إلى العنوان الآتي:

هيئة تحرير مجلة العلوم الإنسانية

مكتب المجلة بكلية الآداب الخمس جامعة المرقب

الخمس /ليبيا ص.ب (40770)

هاتف (00218924120663 د. على)

(00218926724967 د .أحمد)- أو (00218926308360 د. أنور)

البريد الالكتروني: journal.alkhomes@gmail.com

صفحة المجلة على الفيس بوك: journal.alkhomes@gma

قواعد ومعايير النشر

- تهتم المجلة بنشر الدراسات والبحوث الأصيلة التي تتسم بوضوح المنهج ودقة التوثيق في حقول الدراسات المتخصصة في اللغة العربية والانجليزية والدراسات الإسلامية والشعر والأدب والتاريخ والجغرافيا والفلسفة وعلم الاجتماع والتربية وعلم النفس وما يتصل بها من حقول المعرفة.

- ترحب المجلة بنشر التقارير عن المؤتمرات والندوات العلمية المقامة داخل الجامعة على أن لا يزيد عدد الصفحات عن خمس صفحات مطبوعة.

- نشر البحوث والنصوص المحققة والمترجمة ومراجعات الكتب المتعلقة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية ونشر البحوث والدراسات العلمية النقدية الهادفة إلى تقدم المعرفة العلمية والإنسانية.

- ترحب المجلة بعروض الكتب على ألا يتجاوز تاريخ إصدارها ثلاثة أعوام ولا يزيد حجم العرض عن صفحتين مطبوعتين وأن يذكر الباحث في عرضه

المعلومات التالية (اسم المؤلف كاملاً– عنوان الكتاب– مكان وتاريخ النشر– عدد صفحات الكتاب–اسم الناشر– نبذة مختصرة عن مضمونه– تكتب البيانات السالفة الذكر بلغة الكتاب).

ضوابط عامة للمجلة

ـ يجب أن يتسم البحث بالأسلوب العلمي النزيه الهادف ويحتوى على مقومات ومعايير المنهجية العلمية في اعداد البحوث.

– يُشترط في البحوث المقدمة للمجلة أن تكون أصيلة ولم يسبق أن نشرت أو قدمت للنشر في مجلة أخرى أو أية جهة ناشرة اخرة. وأن يتعهد الباحث بذلك خطيا عند تقديم البحث، وتقديم إقراراً بأنه سيلتزم بكافة الشروط والضوابط المقررة في المجلة، كما أنه لا يجوز يكون البحث فصلا أو جزءاً من رسالة (ماجستير – دكتوراه) منشورة، أو كتاب منشور.

ـ لغة المجلة هي العربية ويمكن أن تقبل بحوثا بالإنجليزية أو بأية لغة أخرى، بعد موافقة هيئة التحرير.

– تحتفظ هيئة التحرير بحقها في عدم نشر أي بحث مخالف وتُعدُّ قراراتها نهائية، وتبلغ الباحث باعتذارها فقط اذا لم يتقرر نشر البحث، ويصبح البحث بعد قبوله حقا محفوظا للمجلة ولا يجوز النقل منه إلا بإشارة إلى المجلة.

-لا يحق للباحث إعادة نشر بحثه في أية مجلة علمية أخرى بعد نشره في مجلة الكلية ، كما لا يحق له طلب استرجاعه سواء قُبلَ للنشر أم لم يقبل.

-تخضع جميع الدراسات والبحوث والمقالات الواردة إلى المجلة للفحص العلمي، بعرضها على مُحكِّمين مختصين (محكم واحد لكل بحث) تختارهم هيئة التحرير على نحو سري لتقدير مدى صلاحية البحث للنشر، ويمكن أن يرسل الى محكم آخر وذلك حسب تقدير هيئة التحرير.

- يبدي المقيم رأيه في مدى صلاحية البحث للنشر في تقرير مستقل مدعماً بالمبررات على أن لا تتأخر نتائج التقييم عن شهر من تاريخ إرسال البحث إليه، ويرسل قرار المحكمين النهائي للباحث ويكون القرار إما:

*** قبول البحث دون تعديلات.**

***قبول البحث بعد تعديلات وإعادة عرضه على المحكم.**

***رفض البحث.**

-تقوم هيئة تحرير المجلة بإخطار الباحثين بآراء المحكمين ومقترحاتهم إذ كان المقال أو البحث في حال يسمح بالتعديل والتصحيح، وفي حالة وجود تعديلات طلبها المقيم وبعد موافقة الهيئة على قبول البحث للنشر قبولاً مشروطاً بإجراء التعديلات يطلب من الباحث الأخذ بالتعديلات في فترة لا تتجاوز أسبوعين من تاريخ استلامه للبحث، ويقدم تقريراً يبين فيه رده على المحكم، وكيفية الأخذ بالملاحظات والتعديلات المطلوبة.

–ترسل البحوث المقبولة للنشر إلى المدقق اللغوي، ومن حق المدقق اللغوي أن يرفض البحث الذي تتجاوز أخطاؤه اللغوية الحد المقبول.

– تنشر البحوث وفق أسبقية وصولها إلى المجلة من المحكم، على أن تكون مستوفية الشروط السالفة الذكر.

–الباحث مسئول بالكامل عن صحة النقل من المراجع المستخدمة كما أن هيئة تحرير المجلة غير مسئولة عن أية سرقة علمية تتم في هذه البحوث.

– ترفق مع البحث السيرة علمية (cv) مختصرة قدر الإمكان تتضمن الاسم الثلاثي للباحث ودرجته العلمية وتخصصه الدقيق، وجامعته وكليته وقسمه، وأهم مؤلفاته، والبريد الالكتروني والهاتف ليسهل الاتصال به.

– يخضع ترتيب البحوث في المجلة لمعايير فنية تراها هيئة التحرير.

–تقدم البحوث إلى مكتب المجلة الكائن بمقر الكلية، أو ترسل إلى بريد المجلة الإلكتروني.

–اذا تم إرسال البحث عن طريق البريد الإلكتروني او صندوق البريد يتم إبلاغ الباحث بوصول بحثه واستلامه.

– يترتب على الباحث، في حالة سحبه لبحثه أو إبداء رغبته في عدم متابعة إجراءات التحكيم والنشر، دفع الرسوم التي خصصت للمقيمين.

شروط تفصيلية للنشر في المجلة

-عنوان البحث: يكتب العنوان باللغتين العربية والإنجليزية. ويجب أن يكون العنوان مختصرا قدر الإمكان ويعبر عن هدف البحث بوضوح ويتبع المنهجية العلمية من حيث الإحاطة والاستقصاء وأسلوب البحث العلمي.

- يذكر الباحث على الصفحة الأولى من البحث اسمه ودرجته العلمية والجامعة أو المؤسسة الأكاديمية التي يعمل بها.

-أن يكون البحث مصوغاً بإحدى الطريقتين الآتيتين:_

1:البحوث الميدانية: يورد الباحث مقدمة يبين فيها طبيعة البحث ومبرراته ومدى الحاجة إليه، ثم يحدد مشكلة البحث، ويجب أن يتضمن البحث الكلمات المفتاحية (مصطلحات البحث)، ثم يعرض طريقة البحث وأدواته، وكيفية تحليل بياناته، ثم يعرض نتائج البحث ومناقشتها والتوصيات المنبثقة عنها، وأخيراً قائمة المراجع.

2:البحوث النظرية التحليلية: يورد الباحث مقدمة يمهد فيها لمشكلة البحث مبيناً فيها أهميته وقيمته في الإضافة إلى العلوم والمعارف وإغنائها بالجديد، ثم يقسم العرض بعد ذلك إلى أقسام على درجة من الاستقلال فيما بينها، بحيث يعرض في كل منها فكرة مستقلة ضمن إطار الموضوع الكلي ترتبط

بما سبقها وتمهد لما يليها، ثم يختم الموضوع بخلاصة شاملة له، وأخيراً يثبت قائمة المراجع.

-يقدم الباحث ثلاث نسخ ورقية من البحث، وعلى وجه واحد من الورقة(A4) واحدة منها يكتب عليها اسم الباحث ودرجته العلمية، والنسخ الأخرى تقدم ويكتب عليها عنوان البحث فقط، ونسخة الكترونية على(Cd) باستخدام البرنامج الحاسوبي(MS Word).

- يجب ألا تقل صفحات البحث عن 20 صفحة ولا تزيد عن30 صفحة بما في ذلك صفحات الرسوم والأشكال والجداول وقائمة المراجع .
-يرفق مع البحث ملخصان (باللغة العربية والانجليزية) في حدود (150) كلمة لكل منهما، وعلى ورقتين منفصلتين بحيث يكتب في أعلى الصفحة عنوان البحث ولا يتجاوز الصفحة الواحدة لكل ملخص.

-يُترك هامش مقداره 3 سم من جهة التجليد بينما تكون الهوامش الأخرى 2.5 سم، المسافة بين الأسطر مسافة ونصف، يكون نوع الخط المستخدم في المتن Times New Roman 12 للغة الانجليزية و مسافة و نصف بخط Simplified Arabic 14 للأبحاث باللغة العربية.

-في حالة وجود جداول وأشكال وصور في البحث يكتب رقم وعنوان الجدول أو الشكل والصورة في الأعلى بحيث يكون موجزاً للمحتوى وتكتب الحواشي

في الأسفل بشكل مختصر كما يشترط لتنظيم الجداول اتباع نظام الجداول المعترف به في جهاز الحاسوب ويكون الخط بحجم 12.

-يجب أن ترقم الصفحات ترقيماً متسلسلاً بما في ذلك الجداول والأشكال والصور واللوحات وقائمة المراجع .

طريقة التوثيق:

-يُشار إلى المصادر والمراجع في متن البحث بأرقام متسلسلة توضع بين قوسين إلى الأعلى هكذا: (1)، (2)، (3)، ويكون ثبوتها في أسفل صفحات البحث، وتكون أرقام التوثيق متسلسلة موضوعة بين قوسين في أسفل كل صفحة، فإذا كانت أرقام التوثيق في الصفحة الأولى مثلاً قد انتهت عند الرقم (6) فإن الصفحة التالية ستبدأ بالرقم (1).

-ويكون توثيق المصادر والمراجع على النحو الآتي:

اولا :الكتب المطبوعة: اسم المؤلف ثم لقبه، واسم الكتاب مكتوبا بالبنط الغامق، واسم المحقق أو المترجم، والطبعة، والناشر، ومكان النشر، وسنته، ورقم المجلد – إن تعددت المجلدات– والصفحة. مثال: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط2، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1965م،ج3،ص40. ويشار إلى المصدر عند وروده مرة ثانية على النحو الآتي: الجاحظ، الحيوان، ج، ص.

ثانيا: الكتب المخطوطة: اسم المؤلف ولقبه، واسم الكتاب مكتوبا بالبنط الغامق، واسم المخطوط مكتوبا بالبنط الغامق، ومكان المخطوط، ورقمه، ورقم اللوحة أو الصفحة. مثال: شافع بن علي الكناني، الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور. مخطوط مكتبة البودليان باكسفورد، مجموعة مارش رقم (424)، ورقة 50.

ثالثا: الدوريات: اسم كاتب المقالة، عنوان المقالة موضوعاً بين علامتي تنصيص " "، واسم الدورية مكتوباً بالبنط الغامق، رقم المجلد والعدد والسنة، ورقم الصفحة، مثال: جرار، صلاح: "عناية السيوطي بالتراث الأندلسي– مدخل"، مجلة جامعة القاهرة للبحوث والدراسات، المجلد العاشر، العدد الثاني، سنة 1415هـ/ 1995م، ص179.

رابعا: الآيات القرآنية والاحاديث النبوية:– تكتب الآيات القرآنية بين قوسين مزهرين بالخط العثماني﴿ ﴾ مع الإشارة إلى السورة ورقم الآية. وتثبت الأحاديث النبوية بين قوسين مزدوجين « » بعد تخريجها من مظانها.

ملاحظة: لا توافق هيئة التحرير على تكرار الاسم نفسه (اسم الباحث) في عددين متتالين وذلك لفتح المجال أمام جميع أعضاء هيئة التدريس للنشر.

فهرس المحتويات

عنوان البحث الصفحة

1- بعض الأمور الجائزة على خلاف الأصل أو القياس (الرُّخَص الشرعية)
د. عادل فرحات الشبلى.....15
2- عناية العلماء الأعلام بعمدة الأحكام لعبد الغني المقدسي
أ. مفتاح إمحمد صكو.....43
3- الجذور التاريخية للمذهب المالكي في ليبيا
محمد مصطفي المنتصر.....81
4-ظاهرة مضايقة المرأة في الفضاء العام: دراسة امبيريقية
د. عثمان علي أميمن 106
5- المعتقلات والسجون في صدر الإسلام (1- 40هـ/ 622- 660م) النشأة والتطور
د- حمزة محمد البكوش د- مفتاح جمعة اشكيك د-علي عبد السلام كعوان
د- أحمد حسين الشريف.....162
6-التحول الديمقراطي (دراسة في الأليات والتحديات)
د. رجب عمر العاتي – د. خالد إبراهيم أبورقيقة.....185
7-اضطراب الرواية وأثره على استنباط الأحكام
د. النفاتي موسى سالم الشوشان.....209
8-منهج تصنيف العلوم في الفكر الإسلامي (الفارابي وابن سينا إنموذجًا)
د. فوزية محمد مراد.....249
9- آثار أيام العرب على حياتهم
د. عبد السلام عبد الحميد علي أبو القاسم.....276
10- التركيبة السكنية في مدينة الخمس لعام (2018م) دراسة جغرافية.

د. محمود علي زايـــــد . د. نورية محمد أبو شرنتة.....298
11-مفهوم الأخلاق عند الغزالي
د. آمنة عبدالسلام الزائدي.....310
12-العوامل الجغرافية الطبيعية المؤثرة في استغلال الموارد الطبيعية لسهل مصراتة. دراسة جغرافية
أ. إبراهيم مفتاح الدقداق- أ:هيام أبوالقاسم أبوذينة-د: بشير عمران أبوناجي.....339
13-حبوب القمح والشعير وآثارها السياسية والاقتصادية على حياة سكان المدن الإغريقية ما بين (750 – 338 ق.م)
د. عياد مصطفى محمد اعبيليكة.....391
14- دور الجامعة في تعزيز الأمن الفكري لدى طلابها وسبل تفعليه
أ.رويدا رمضان الفتني- د. فاطمة محمد أبوراس.....410
15- استراتيجية الحروب الاوربية ودورها في بلورة الواقع الاوربي في الفترة ما بين (1914-1918)م
د. عبد السلام عرقوب.....452
16-الاجتهاد في تحقيق المناط في ضوء مقاصد الشريعة
د: امحمد عبدالحميد المدني.....493
17- العلامة الفقيه:علي بن أبي بكر الحضيري وكتابه الفتح والتيسير(95- 1061هـ)
د. فرج رمضان الشبيلي- أ. جمعة عيد الشف.....507
18-الجرامنت ومظاهرهم الحضارية من خلال المصادر الأدبية والمعطيات الأثرية
د. محمد علي الدراوي.....540
19-الضم الحضري مفهومه ودوافعه
د. نورية محمد الشريف- د. فاطمة حسن احمودة.....562

20- مثالب الطاعنين ومعايب الخارجين على الخليفة عثمان بن عفان
د. عبدالله علي نوح.....583
21- كفاءة الايدي العاملة سياحيا واثرها على جودة الخدمات بفنادق مدينة الخمس (دراسة تطبيقية لآراء عينة من العاملين في قطاع الفندقة بمدينة الخمس)
د. خالد سالم معوال – د. صالحة علي فلاح.....610
22- من بعض استعمالات الحرف في الإعمال والإهمال
د. صالح حسين الأخضر.....641
23- الثروة المائية في ليبيا بين العرض والطلب.
د. عمر إبراهيم المنشاز.....688
24-the Effectiveness of Teaching Grammar in Context: Teaching Conjunctions as an Example
Mohammed O. Ramadan.....706
25- A research paper entitled “lack of coherence in a translation text”
Mr. Mohammed Ben Fayed - Mr. Khiri Saad Elkut 757
26- WRITING ERRORS COMMITTED BY SECOND YEAR STUDENTS IN ENGLISH DEPARTMENT,ARTS COLLEGE AT ELMERGIB UNIVERSITY
Abdulsalam Hamed Omar Altoumi.....777

مفهوم الأخلاق عند الغزالي:

د. آمنة عبدالسلام الزائدي

المقدمة:

يعتبر علم الأخلاق ركناً أساسياً من أركان مباحث الفلسفة منذ نشأة الفكر الفلسفي، وقد خصص له مكانة مميزة ومهمة في جميع المذاهب الفلسفية على اعتبار أن الفلسفة تبحث في القيم الثلاث الأساسية:" الحق.. الخير.. الجمال.

ويعد أبو حامد الغزالي من كبار المفكرين المسلمين عامة ومن كبار المفكرين بمجال علم الأخلاق والتربية خاصة، الذين بينوا الطرق العملية لتربية الأبناء وإصلاح الأخلاق الذميمة وتخليص الإنسان منها، فكان بذلك مفكراً ومربياً ومصلحاً اجتماعياً في آن معاً.

ولهذا تتجلى **أهمية اختيار هذا الموضوع** في إبراز الدور الكبير الذي قام به حجة الاسلام الغزالي في محاولة أتبات ارتباط الدين بالأخلاق فالدين عنده أساس الأخلاق وهي غايته وهدفه. **أما عن إشكالية البحث** فقد حاولت من خلالهذا البحث الإجابة عن العديد من التساؤلات التي يثيرها موضوع البحث، وهي كالآتي: مامفهوم الأخلاق عند الغزالي؟ وهل هناك شروط للفعل حتى يكون أخلاقياً؟

وهل الأخلاق ثابتة أم أنها قابلة للتغيير عند الغزالي؟ وإذا كانت قابلة للتغيير فماهي الوسيلة للانتقال من الرذيلة إلى الفضيلة؟ ولكن كيف يربى الخلق عنده؟ وهل هناك غاية من الأخلاق، وهل يستطيع الإنسان بلوغ أعلى درجات الأخلاق؟

دراسته لعلم الاخلاق:

وللإجابة عن هذه الأسئلة وعلى الرغم من أن علم الأخلاق لم يكن بالعلم المحدث أيام (الغزالي) ففي الحديث الشريف "بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[1] كما أن كثيرين أولئك الذين تناولوا مسائل الفلسفة الأخلاقية قبله، سواءٌ أكان في الفكر اليوناني، أم كان في الفكر العربي الإسلامي، فأن الغزالي اهتم بالأخلاق اهتماماً كبيراً، فاحتلت جزءاً كبيراً من مؤلفاته.

ومن أشهر كتبه المتصله بالأخلاق هي إحياء علوم الدين، وقد أسسه على أربعة أرباع:

ربع العبادات وربع العادات وربع المهلكات وربع المنجيات.

أما ربع العبادات فقد ذكر فيه خفايا آدابها ودقائق سننها وأسرار معالجتها مما يضطر العامل إليه.

وأما ربع العادات فقد احتوى على أسرار المعاملات الجارية بين الخلق وأغوارها ودقائق سننها وخفايا الورع في مجاريها.

كما أشار في ربع المهلكات إلى كل خلق مذموم ورد الأمر في القرآن بتجنبه وتزكية النفس عنه وتطهير القلب منه . وكان ذكره لكل من هذه الأخلاق على النحو التالي، 1. حده وحقيقته، 2. سببه الذي يتولد عنه، 3. الآفات التي تترتب عليه، 4. العلامات التي يعرف بها، 5. طرق معالجته.

أما في ربع المنجيات فقد بين كل خلق محمود وخصلة مرغوب بها من خصال المقربين والصديقين بنفس الطريقة التي يذكر فيها الأخلاق المحمودة. وكذلك تناول

[1]. موطأ مالك ، كتاب الجامع، باب حسن الخلق.

الأخلاق في كتبه الأخرى: كميزان العمل ومنهاج العارفين والأربعين في أصول الدين والأدب في الدين ونصيحة الملوك والقواعد العشرة والمنقذ من الضلال ... وغيرها.، وقد أطلق الغزالي على هذا العلم أسماء متعددة مثل: علم طريق الآخرة، وعلم صفات الخلق، وأسرار معاملات الدين، وأخلاق الأبرار، ويقصد به تكييف النفس وردها إلى ما رسمته الشريعة وخطة رجال المكاشفة من علماء الإسلام ومن سبقهم من الأنبياء والصديقين[1]، والحقيقة أن تتبع ما أثاره الإمام (الغزالي) من مسائل تخص الفلسفة الأخلاقية يقودنا إلى أنه قد عالج هذه المسائل انطلاقاً من وجهتي نظر، فقد نظر إلى الأخلاق نظرة دينية وقادها في منحى صوفي، في الوقت الذي كان يعالجها ويتعامل معها بأسلوب الفيلسوف ولغته، إلا أننا لا نميل إلى الفصل بين آرائه على هذا النحو، ذلك أن ثمة تداخلاً وتشابكاً بينهما، فالنزوع الفلسفي لم يفارق الغزالي في أي من كتبه، كما أن تأثير التعاليم والمبادئ الدينية قد ظل واضحاً أيضاً، بل كان الطابع المميز له.

فالأخلاق ترتبط عند الغزالي بالدين ارتباطاً قوياً ومتيناً، فالدين عنده أساس الأخلاق وهي غايته وهدفه، وبما أن أخلاق الإنسان تترجم بسلوكه وأفعاله المختلفة التي تصدر بفعل من بواعث ومواقع نفسية داخلية كامنة في باطن النفس الإنسانية، ومن خلال تحليله لهذه النفس بهدف الكشف عن دوافع الخير وبواعث الشر فيها؛ وجد الغزالي أن الدين هو الوسيلة الفضلى في تعديل هذه البواعث والدوافع وتنميتها بشكل تتسق مع فروض العبادات والشعائر الدينية.

[1]. زكي مبارك، الأخلاق عند الغزالي، دار الجيل، بيروت،ط1، 1988م، ص113.

فاعتمد الغزالي القرآن الكريم معياراً ليحتكم إليه الفرد في رسم صفات الخلق الحسن وصفات الخلق السيئ إذ فرق الخالق جلّ وعلا في كتابه العزيز بين صفات المؤمنين وصفات المنافقين، وهي في جملتها ثمرة حسن الخلق وسوئه التي وضحها الغزالي بإيراده جملة من الآيات القرآنية بقوله " فمن أشكل عليه حاله فلينظر نفسه على هذه الآيات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق، وفقد جميعها علامة سوء الخلق، ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض، فليشغل بتحصيل ما فقده وحفظ ما وجده"[1] وعلم الأخلاق عند الغزالي علم معاملة لامكاشفة أي أنه يبحث في الأعمال وفيما ينبغي على المرء أن يفعله ليكون سلوكه موافقاً لروح الشريعة وقد قدم لكتاب الإحياء بقوله: "إن طريق الآخرة ومادرج عليه السلف الصالح مما سماه الله سبحانه في كتابه فقها وحكمة وعلماً وضياءً ونوراً وهداية ورشداً فقد أصبح من بين الخلق مطوياً وصار نسياً منسياً ولما كان هذا ثلماً في الدين ملماً وخطباً مدلهماً رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب إحياء علوم الدين وكشفنا عن مناهج الأئمة المتقدمين وإيضاحاً لمناحي العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين"[2].

[1]. الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص74، زكي مبارك، الأخلاق عند الغزالي، ص158.159.

[2]. الغزالي، إحياء علوم الدين، ج1، ص3.

مفهوم الخلق عند الإمام الغزالي: يفرق الغزالي بين الخلق، والخُلق والمراد بالخلق هو الصورة الظاهرة المركب منها الإنسان، والخلق هو الصورة الباطنة للإنسان، ولكل واحد منهما صورة إما قبيحة وإما جميلة[1].

يعرف الغزالي الخلق في الميزان بأنه "إصلاح القوى الثلاث قوة التفكر وقوة الشهوة وقوة الغضب"[2]. ويعرفه في مكان آخر من الميزان بأنه إزالة جميع العادات التي عرف الشرع تفاصيلها وجعلها بحيث يبغضها فنتجنبها كما تتجنب المستقذرات. وتعود العادات الحسنة والاشتياق إليها[3]. وأيضاً يعرف الخلق الحسن بفعل مايكره المرء. ويستشهد بالحديث: "(حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات)[4] وبالآية: (عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم)[5]"[6].

ولعل أكثر هذه التعريفات دقة وضبطاً هو التعريف الذي قدمه لنا في "الإحياء" حيث يقول إن الأخلاق هي: "هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر ومن غير حاجة إلى فكر أو روية فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال

---

[1]- علي عبدالفتاح المغربي، دراسات عقلية وروحية في الفلسفة الإسلامية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1995م، ص245.

[2]. الغزالي، ميزان العمل، ص56.

[3]. المصدر نفسه، ص47.

[4]. صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب حجبت النار بالشهوات، الجزء رقم 4.

[5]. سورة البقرة،الآية: 216.

[6]. الغزالي، ميزان العمل، ص64.

الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت الهيئة خلقاً حسناً وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً"[1].

ويشرح الغزالي المقصود بأن الأخلاق هيئة راسخة، أي أنها ثابتة في النفس، بمعنى أن لايأتي الفعل الخلقي استثناءً أو عارضاً، بل يكون دائماً وثابتاً، والمقصود بغير روية وفكر، هو أن يكون الفعل الأخلاقي سهلاً ميسوراً لايحتاج إلى إعمال الفكر(فطري وطبيعي)[2] ولذلك يقول الغزالي: "من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية لايقال خلقه السخاء والحلم"[3].

والحق أن الإمام الغزالي لم يبتعد بهذا التعريف عن التعريفات المعاصرة للأخلاق على تعددها وتباينها، لذلك ركز مفهومه للأخلاق على الفكرة الجوهرية التي يقوم عليها الفعل الأخلاقي ويصدر عنها، وهي الرسوخ في النفس والتّلقائية، إذ الفعل الأخلاقي العرضي ليس موجباً لوصف فاعله بأنه أخلاقي، أو غير أخلاقي، كما أن إطالة التفكير وتكلف الجهد لدفع الذات إلى الفعل الأخلاقي ليس كافياً لاعتبار صاحب الفعل متخلّقاً به.

شروط الفعل الأخلاقي: انطلاقاً من تعريفه للأخلاق يبين لنا الإمام الغزالي شروط الفعل الأخلاقي فيرى أنها أربعة: الأول: فعل الجميل والقبيح. والثاني: القدرة عليهما.والثالث: المعرفة بهما. والرابع: هيئة للنفس بها تميل إلى أحد الجانبين

[1]. الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص52.

[2]. علي عبدالفتاح المغربي، دراسات عقلية وروحية في الفلسفة الإسلامية، ص246.

[3]. الغزالي، إحياء علوم الدين،ج3، ص53.

ويتيسر عليها أحد الأمرين[1] ومن ذلك يتبين لنا أن هذه الشروط الأربعة للفعل الأخلاقي متلازمة متكاملة، أولها وجود الفعلين: الجميل والقبيح، وثانيها: قدرة المرء على فعلهما معاً، وثالثها: معرفته بالفعل الذي يقوم به وقيمته التي يحققها، وأخيراً الفعل الأخلاقي بحد ذاته وهو أهمها، هذا الفعل الذي ينبغي أن يكون صدوره من غير روية وتفكير، أي بصورة تلقائية، ولذلك كما يقول الإمام الغزالي: "وليس الخلق عبارة عن الفعل، فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل إما لفقد المال وإما لمانع، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل إما لباعث وإما لرياء، وليس هو عبارة عن القوة لأن نسبة القوة إلى الإمساك والإعطاء بل إلى الضدين واحدة، وكل إنسان خلق بالفطرة قادر على الإعطاء والإمساك، وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء، وليس هو عبارة عن المعرفة فإن المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعاً على وجه واحد، بل هو عبارة عن المعنى الرابع، وهو الهيئة التي بها تستعد النفس لأن يصدر منها الإمساك أو البذل، فالخلق إذن عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة"[2].

طابع تغيير الخلق:

إذا كانت الأخلاق هيئة راسخة في النفس، فهل يعني ذلك أن الأخلاق لايمكن تبديلها؟ بمعنى آخر هل الأخلاق مكتسبة؟ يجيب الغزالي بأن الأخلاق تقبل التغيير، ويدعم الغزالي رأيه بإشارته إلى أن كل كائن حي يمكن أن يتغير خلقه حتى البهائم يمكن تبديل خلقها من الاستيحاش إلى الاستئناس. وإلى أنه لو كانت

[1]. المصدر نفسه، ج3، ص52.

[2]. المصدر نفسه،ج3، ص52.

الأخلاق لاتقبل التغيير لبطلت المواعظ والوصايا والتأديبات، ولما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "حسنوا أخلاقكم"[1].

كما أن الغزالي لم ير في تغيير الأخلاق إعداماً وقضاءً مبرماً على بذرة الشر والسوء والفساد في نفس الإنسان كما ظن البعض، وإنما تغيير الأخلاق هو قهر الطبائع السيئة الفاسدة وإسلاسها وترويضها وحسن قيادها، يقول الغزالي: "وظنت طائفة أن المقصود من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها، وهيهات! فإن الشهوة خلقت لفائدة. وهي ضرورية في الجبلة، فلو انقطعت شهوة الطعام لهلك الإنسان، ولو انقطعت شهوة الوقاع لانقطع النسل، ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الإنسان عن نفسه مايهلكه. ومهما بقي أصل الشهوة فيبقى لامحالة حب المال الذي يوصله إلى الشهوة حتى يحمله ذلك على إمساك المال. وليس المطلوب إماطة ذلك بالكلية، بل المطلوب ردها إلى الاعتدال الذي هو وسط بين الإفراط والتفريط"[2].

أما كيف يتم هذا التغيير فأن الغزالي يحدده على مراحل:

1. معرفة الأخلاق المذمومة.
2. طريق تغييرها أو وسائل العلاج العامة.
3. طرق التعديل أو العلاج الخاصة بكل نوع من الأخلاق المذمومة.

---

[1]. المصدر نفسه، ج3، ص54.

[2]. الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص55.

4. معرفة الإنسان عيوب نفسه.

5. تقدير حالة الإنسان الذي سيغير خلقه.

6. وسيلة العلاج الخاصة والعامة لكل إنسان.

ويرى الغزالي أن حسن الخلق يرجع إلى اعتدال قوى النفس المفكرة والغضبية والشهوية، وهذا الاعتدال يأتي على وجهين: أحدهما: يحصل بوجود إلهي بحيث يخلق الإنسان ويولد كامل العقل حسن الخلق.

والوجه الثاني: هو اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة.

وهكذا يرى الغزالي أن الأخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة، وتارة تكون باعتياد الأفعال الجميلة، وتارة بمشاهدة أرباب الأفعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير وإخوان الصلاح، فالفضيلة بذلك تكون بالطبع والاعتياد والتعلم، ومن توافرت فيه هذه الخصائص الثلاث كان في غاية الفضيلة.

كما أن قبول الناس لتغيير الأخلاق ليس بدرجة واحدة بل هم في ذلك مختلفون على أربع مراتب، يحددها الغزالي في قوله[1]:

الأولى: هو الإنسان الغفل الذي لايعرف الحق من الباطل والجميل من القبيح.

والثانية: أن يكون قد عرف قبح القبيح ولكنه لم يتعود العمل الصالح، بل زين له شر عمله يتعاطاه انقياداً لشهواته وإعراضاً عن صواب رأيه.

[1]. انظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص55، الغزالي، ميزان العمل، ص63.65.

والثالثة: أن يعتقد الأخلاق القبيحة أنها الواجبة المستحسنة وأنها حق وجميل ثم تربى عليها، فهذا يكاد يمتنع معالجته ولن يرجى صلاحه إلا على الندور إذ تضاعفت عليه أسباب الضلال.

والرابعة: أن يكون مع وقوع نشوئه على الاعتقاد الفاسد وتربيته على العمل به يرى فضله في كثر الشر واستهلاك النفوس، ويتباهى به، ويظن أن ذلك يرفع من قدره – وهذا أصعب المراتب – وصاحب المرتبة الأولى جاهل والثانية جاهل وضال والثالثة جاهل وضال وفاسق والرابعة جاهل وضال وفاسق وشرير.

وبالتالي يمكن القول بأن الغزالي يقر بدور للطبع ودور للاكتساب، لكن مافي الطبع يحتاج إلى المرانة والاعتياد والتعلم، وهذا يعني أن ما في الطبع ليس داءً عضالاً لايمكن اقتلاعه، بل يمكن تعديله وتوجيهه بالاعتياد والتعلم والمخالطة.

الطريق إلى تهذيب الأخلاق:

وإذا كانت الأخلاق قابلة للتغيير، – كما ذهب الغزالي – فما الطريق، وما وسيلة الانتقال من الرذيلة إلى الفضيلة؟

يرى الغزالي أن ذلك يتحقق عن طريق تعويد النفس على الفضيلة، فعلاج الجهل بالتعلم والبخل بالتسخي تكلفاً، والكبر بالتواضع تكلفاً، والشره بالكف عن المشتهي تكلفاً.

إذ يعتمد هذا الطريق عند الغزالي على علاج النفس بمحو الرذائل عنها، وجلب الفضائل والأخلاق الجميلة إليها، مثال: البدن في علاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة وجلبها إليه، وكما أن الغالب على أصل المزاج الاعتدال وإنما تعتري المعدة المضرة بعوارض الأغذية والأهوية والأحوال. فكذلك المولود يولد معتدلاً

صحيح الفطرة – أي بالاعتياد والتعليم تكتسب الرذائل– وكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملاً وإنما يكمل ويقوى بالنشوء والتربية، فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال، وإنما تكمل بالتربية وتهذيب الأخلاق والتغذية بالعلم، وكما أن البدن إن كان صحيحاً فشأن الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة. وإن كان مريضاً فشأنه جلب الصحة إليه، فكذلك النفس منك إن كانت زكية طاهرة مهذبة فينبغي أن تسعى إلى حفظها وجلب مزيد قوة إليها، واكتساب زيادة صفائها، وأن كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي أن تسعى إلى جلب ذلك إليها. وذلك يعني اقتلاع الرذيلة، وإبدالها بالفضيلة.

وهذا العلاج عند الغزالي ليس بالأمر السهل في بدايته، بل يحتاج إلى الصبر والمجاهدة، فكما يصبر المريض على مر الدواء، فلابد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداوة مرض القلوب. فعلى المريض أن يتكلف ذلك الخلق الحسن الجديد ويصبر عليه، ثم يداوم على تكراره، حتى يصبح عادة سهلة ميسورة وراسخة في النفس[1].

كما يشير الغزالي إلى أن هذا العلاج ليس واحداً وثابتاً لكل الأمرض والمرضى، بل هو متغير حسب حالة المرض وحالة المريض، وإذا كان ذلك مايراعيه الطبيب المعالج للأبدان، فكذلك يجب أن يراعيه الشيخ الذي يعالج نفوس المريدين، يقول الغزالي: "فينبغي أن لايهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص مالم

[1]. عبدالفتاح المغربي، دراسات عقلية وروحية في الفلسفة الإسلامية، ص251.

يعرف أخلاقهم، فإذا عرف ماهو الغالب على المريد من الخلق السيئ وعرف مقداره ولاحظ حاله وسنه ومايحتمله من المعالجة عين له الطريق"[1].

والحق أن هذا، كما يقول الإمام الغزالي طريق جملي (كلي) في تهذيب الأخلاق،والكلام في تفصيله يطول، والغرض أن ننظر إلى تزكية نفوسنا في أخلاقنا، فإن كانت مهذبة وجب علينا حفظها، وإن كانت مائلة وجب تقويمها بالرد إلى حد الاعتدال، والمقصود من جلب الاعتدال سلب الطرفين، إذ الغرض تطهير النفس عن الصفات التي تلحقها بعوارض البدن، حتى لا تلتفت إليها بعد المفارقة، عاشقة ومتأسفة على قوتها.

ولذلك فقد عرض لنماذج كثيرة من الرذائل وبين كيفية علاج كل منها، ليعود إلى التأكيد بأنه ليس يعرض إلى ذكر دواء كل مرض، وإنما غايته التنبيه على أن الطريق الكلي إنما هو سلوك مسلك المعتاد لكل ما تهواه النفس وتميل إليه، وحتى لا يكون الأمر عشوائياً من غير ضابط بحيث ننتقل من داء إلى داء آخر، ومن مرض إلى مرض آخر، فقد أصر كثيراً على مسألة وضرورة مراقبة النفس دائماً في سلوكها وتصرفاته.

معرفة عيوب الذات:

ومما يلحق بتهذيب الأخلاق وإصلاحها، ويتصل بهما اتصالاً وثيقاً، معرفة عيوب الذات، كما يقف المرء على وجوه معايبه ويحسن الإفادة منها في تغيير أخلاقه وتهذيبها، يرى الإمام الغزالي أن المفكر نافذ البصيرة، الذي يحسن استخدام عقله وتوظيفه لم تخف عليه عيوبه، وبحسن تعقله وتفكيره يعالج ما يعرف من

[1]. الغزالي، ميزان العمل، ص75.72.

عيوبه لأن علاجها يقود إلى كمال النفس ونزاهتها، ولكن المشكلة تكمن في أن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم؛ ولذلك تجد أحدهم يرى القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه، ولما كانت الحالة كذلك لم يجد الغزالي بدًا من وضع مقياس يستند إليه المرء الذي يتوخى معرفة عيوب نفسه، وينقسم هذا المقياس إلى طرق أربعة[1]: الأول: أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس، مطلع على خفايا الآفات، ويحكمه في نفسه، ويتبع إشارته في مجاهدته، وهذا شأن المريد مع شيخه، والتلميذ مع أستاذه، فيعرفه أستاذه وشيخه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه، ولكن الإمام الغزالي يرى أن مثل هذا عزَّ وجوده وندر في زمانه، ولذلك قدم طريقاً آخر.

الثاني: أن يطلب صديقاً صدوقاً متديناً فينصبه رقيباً على نفسه ليلاحظ أقواله وأفعاله، فما كره من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه[2] فهكذا كان يفعل الأكياس والأكابر من أئمة الدين، ويستشهد لذلك ببعض الأقوال منها قول عمر بن الخطاب (38 ق.هـ/ 23هـ، 586م/644م) "رحم الله امرأ أهدى إليَّ عيوبي". ولما ندر أيضاً وجود الصديق الصادق في وده وحبه، ولما كان الصديق ينظر بعين الرضا فلا يرى إلا محاسن، لم يكن هناك بدا من تقديم طريق ثالث

الثالث: أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه فإن عين السخط تبدي

---

[1]. الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص64.65.

[2]. في حين أن هناك موقفاً مضادًا للغزالي في هذه المسألة يمثله أبوحيان التوحيدي وكفره بالصديق وانه لايوجد صديق، حيث يقول: "وقبل كل شيء ينبغي أن نثق بأنه لا صديق، ولا من يتشبه بالصديق" انظر: أبوحيان التوحيدي، الصداقة والصديق، ص5.

المساوي، ولعل انتفاع الإنسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عيوبه. ويجب على الإنسان أن ينتبه إلى أن الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد، ولذلك ينبغي عليه أن يكون بصيراً حاذقاً، يعرف كيف ينتفع بقول أعدائه، فإن مساويه لابد من أن تنتشر على ألسنتهم.

الرابع: أن يخالط الناس، فكل ما رآه مذموماً فيما بين الخلق فليطالب نفسه به وينسبها إليه، فإن المؤمن مرآة المؤمن، فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه، ويعلم أن الطباع متقاربة في اتباع الهوى، فما يتصف به واحد من الأقران لا ينفك القرن الآخر عن أصله أو عن أعظم منه أو عن شيء منه، فليتفقد نفسه وليطهرها من كل ما يذمه من غيره، وناهيك بهذا تأديباً. فلو ترك الناس كلهم ما يكرهون من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب ويستشهد لذلك بجواب (عيسى) عليه السلام عندما سئل عمن أدبه فقال: "ما أدبني أحد، رأيت جهل الجاهل شيناً فاجتنبته".

وبالتالي لابد لنا هنا من الحديث عن الخلق الحسن الذي يعده الغزالي الغاية المرجوة من تهذيب الأخلاق.

الخلق الحسن:

لم يقنع الغزالي بالتعريفات الكثيرة للخلق الحسن التي درج العلماء والفقهاء والأدباء على استخدامها، ذلك أنها لم ترقى إلى الدلالة المفهومية للخلق الحسن، أي لم تعرض لحقيقته، وإنما كانت تعرض لثمرة الخلق الحسن، كأن يقال الخلق الحسن هو "بسط الوجه وبذل الندى وكف الأذى...وهو إرضاء الخلق في السراء والضراء..."[1]

[1]. الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص52.

وغير ذلك من التعريفات الكثيرة التي لا تعدو كما يرى الغزالي كونها عرضاً لثمرات الخلق الحسن. ولذلك لم يجد الغزالي بداً من تعريف الخلق عامة بادئ ذي بدء، ثم يبين ماهية الخلق الحسن فيقول:

"فالخلق إذن عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة، وكما أن حسن الصورة الظاهرة مطلقاً لا يتم بحسن العينين دون الأنف والفم والخد بل لابد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر، فكذلك في الباطن أربعة أركان لابد من الحسن في جميعها حتى يتم الخلق، فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهو: قوة العلم، وقوة الغضب، وقوة الشهوة، وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث"[1].

فصلاح هذه القوى الثلاث وتهذيبها أو العدل في استخدامها وتوظيفها هو حسن الخلق، والحق أن ثمة توافقاً وانسجاماً بين ما عرضه الإمام الغزالي في كتابيه الإحياء و الميزان حول هذه القوى الثلاث[2] وتعريف الخلق الحسن، وإن تعددت التسميات بين مكان وآخر.

أما القوة الأولى، وهي قوة العلم أو التفكير، فإذا صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة، والحكمة رأس الأخلاق الحسنة، وثمرتها أن يتيسر للمرء الفرق بين الحق

---

[1]. المصدر نفسه، ج3، ص52.

[2]- كان لنظرية أفلاطون في الفضائل الأساسية: الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة، ولنظرية الأوساط الأرسطية في الفضيلة أثر كبير لدى الغزالي ولدى الكثير من مفكري المسلمين وبخاصة المشتغلين بالأخلاق. انظر: محمود حمدي زقزوق، مقدمة في علم الأخلاق، دار القلم، الكويت، ط3، 1983م، ص148.

والباطل في الاعتقاد، وبين الصدق والكذب في المقال، وبين الجميل والقبيح في الأفعال، ولا يلتبس عليه شيء من ذلك[1].

والقوة الثانية، قوة الغضب أو الحمية الغضبية "وحسنها في أن يصير انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة"[2] وبقهرها وإصلاحها يحصل الحلم، وهو كظم الغيظ، وكف النفس عن التشفي.

وأما القوة الثالثة، وهي الشهوة "فحسنها وصلاحها في أن تكون تحت إشارة الحكمة، أعني إشارة العقل والشرع"[3] وبإصلاحها تحصل العفة حتى تنزجر النفس عن الفواحش، وتنقاد للمواساة والإيثار المحمود بقدر الطاقة. أما قوة العدل فهو "ضبط الشهوة والغضب تحت إشارة العقل والشرع"[4].

لأن غاية الأخلاق عند الغزالي كما سيتضح فيما بعد خلال هذا البحث هي السعادة الآخرة فلابد من أن يستقي الفعل الأخلاقي قيمته من الإيمان بالله وما يقتضيه هذا الإيمان من التزام بالأوامر والنواهي، لذلك لجأ الإمام الغزالي إلى القرآن الكريم ليستمد منه علامات الخلق الحسن، إذ إن الله تعالى ذكر في كتابه العزيز صفات المؤمنين والمنافقين، وهي بجملتها ثمرة حسن الخلق، وسوء الخلق، وبعد أن سرد الغزالي جملة الآيات، يقول: "فمن أشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات، فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق، وفقد جميعها علامة سوء الخلق، ووجود بعضها

---

[1]. الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص5352.

[2]. المصدر نفسه، ج3، ص53.

[3]. المصدر نفسه، ج3، ص53.

[4]. المصدر نفسه، ج3، ص53.

دون بعض، يدل على البعض دون البعض، فليشتغل بتحصيل مافقده، وحفظ ماوجده"[1]. وبالتالي فأن معيار الخلق الحسن عند الغزالي هو الصفات التي خص بها الله سبحانه وتعالى المؤمنين، ومعيار الخلق السيئ هو صفات المنافقين كما وردت في القرآن الكريم.

التربية الأخلاقية:

إن إمكانية تغيير الأخلاق وإصلاحها يقودنا إلى فكرة جديدة هي التربية أو التنشئة الأخلاقية، وقد رسم لنا الغزالي منهجاً تربوياً واضحاً لتربية الإنسان أخلاقياً، ولم يقتصر في رسم هذا المنهج على المراحل المبكرة من حياة الإنسان وحدها. وإنما تعداها إلى كل مراحل حياته، وما سبق وتحدثنا عنه من تغيير الأخلاق وإصلاحها وتهذيبها يمكن أن نعدّه تربية أخلاقية للإنسان اليافع والراشد، الذي بإمكانه أن يسلك أكثر من سبيل لمعرفة العيوب وتقويمها، وليس هذا فحسب بل إنه وضع لكل فضيلة أخلاقية طرقها الخاصة التي تساعد على تنميتها وتعزيزها، كما بين كيفية التخلص من الرذائل كل على حدة.

فيرى الإمام (الغزالي) أن النفس البشرية صفحة نقية بيضاء تقبل كل نقش وصورة تعرض عليها. وها هو ذا يصف القلب الطاهر للطفل بأنه "جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلى كل ما يمال إليه – أي أن الإنسان يخلق قابلاً للخير والشر – فإن عوّد الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، وإن عوّد الشر وأُهمل شقي وهلك"[2] الأمر الذي يعطي

[1]. المصدر نفسه، ج3، ص74.

[2]. الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص45.

للتربية أهم دور في تكوين الإنسان وبناء شخصيته وتحديد معالمها وأبعادها، وكثيراً ما أكد الغزالي على ضرورة العناية بالأطفال وحسن توجيههم لما أدركه من أهمية التربية ودورها الحاسم في بناء شخصية الطفل.

والحق أن هذه الفكرة ذاتها – فكرة نقاء النفس– هي الفكرة المحورية التي بنت عليها المدرسة التجريبية الإنكليزية بنيانها الفلسفي، وبهذا المعنى ذاته يرى(جون لوك – 1632–1704): "إن النفس الإنسانية في الأصل كلوح مصقول لم ينقش فيه شيء، وأن التجربة هي التي تنقش فيها المعاني والمبادئ جميعاً"[1]، وفي هذا الرأي لجون لوك يبدو التشابه بينهما واضحاً جلياً.

فالأخلاق الفاضلة عند الغزالي لا تولد مع الإنسان، وإنما يكتسبها عن طريق التربية والتعليم من البيئة التي يعيش فيها. والتربية الأخلاقية السليمة في نظر الغزالي تبدأ بتعويد الطفل على فضائل الأخلاق وممارستها مع الحرص على تجنيبه مخالطة قرناء السوء حتى لا يكتسب منهم الرذائل، وفي سن النضج العقلي تشرح له الفضائل شرحاً علمياً يبين سبب عدها فضائل وكذلك الرذائل وسبب عدها رذائل حتى يصبح سلوكه مبنياً على علم ومعرفة واعية.

ولكن الإمام الغزالي يرى من جهة ثانية أن الإنسان مفطور على الميل إلى القيم الأخلاقية الإيجابية، وإلى الخير عموماً، ميلاً غريزياً، ويؤكد ذلك قوله: "فإذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل إليه وإلى المقابح فكيف لا تستلذ الحق لو ردت إليه مدة والتزمت المواظبة عليه؟ بل ميل النفس إلى هذه الأمور الشنيعة خارج عن الطبع. يضاهي الميل إلى أكل الطين فقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة، فأما

[1]. عزمي إسلام، جون لوك، ص234.

ميله إلى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته وعبادته فهو كالميل إلى الطعام والشراب فإنه مقتضى طبع[1] القلب لأنه أمر رباني وميله إلى مقتضيات الشهوة غريب"[2].

وأحياناً يورد مايشير إلى أن الميل إلى السوء طبيعي عند الإنسان فيلح على أن النفس أمارة بالسوء وعلى إن الخطيئة أساسية عند كل إنسان منذ عهد آدم[3]. ونعتقد أن الغزالي يقصد من الغريزة والفطرة مجرد الاستعداد، أو الحالة التي يخرج فيها الإنسان من يد الخالق بكل طبائع الإنسان ومزاجه المركب من الأخلاق المختلفة ويكون الأمر سواء بالنسبة إلى الخير أو الشر ويكون القلب بأصل الفطرة صالحاً لقبول أثار الملك وأثار الشيطان ولا يترجح أحدهما على الآخر إلا باتباع الهوى والانكباب على الشهوات أو الإعراض عنها ومخالفتها[4].

ومما تقدم نرى للغزالي رأيين مختلفين في وراثة الأخلاق. فهو حين يقرر أن قلب الطفل جوهرة ساذجة خالية من كل نقش، وقابلة لكل صورة، يحكم بأن الأخلاق لاتورث. وحين يدعو إلى أن ترضع الطفل امرأة غير متدينة يحكم بأنها تورث. فهل يمكن الرفع مابين هذين الأمرين من ظاهر الخلاف؟

نشأه الخلق في نفس الإنسان عند الغزالي

---

[1]. الطبع: مجموعة مظاهر السلوك والشعور المكتسبة والموروثة التي تميز فردا عن آخر. مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، ص111. ويعرفه الجرجاني بقوله: "أنه الجبلة التي خلق عليها الإنسان" انظر: الجرجاني، التعريفات، ص34.

[2]. الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص5857.

[3]. الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص6.

[4]. المصدر نفسه، ج3، ص27. .

يرى الغزالي أن من الناس من ولد حسن الخلق بفطرته، بحيث لايحتاج إلى تعليم، ولا إلى تأديب كعيسى بن مريم، ويحيى بن زكريا، (عليهما السلام)، وكذا سائر الأنبياء. ولا يبعد فيما يرى أن يكون في الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكتساب.

والطريق إلى تربية الخلق فيما يرى الغزالي هو التخلق: أي حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب. فمن أراد مثلاً أن يحصل لنفسه خلق الجود، فعليه أن يتكلف فعل الجود: وهو بذل المال، حتى يصير ذلك طبعاً له.

ويمكن تلخيص المنهج الذي وضعه الغزالي لتربية الطفل على النحو التالي[1]:

وقد أورده على صورة واجبات الوالد نحو ولده فبين أنه يجب عليه:

-تأديب ابنه وتهذيبه وتعليمه محاسن الأخلاق وحفظه من قرناء السوء.

-أن لايحبب إليه الزينة وأسباب الرفاهية لئلا يتعود التنعم فيعسر تقويمه بعد ذلك.

-إذا رأى مخائيل التمييز وبوادر الحياة فليعلم أن عقله مشرق وأن تنمية هذه الباكورة من عزم الأمور وأحسن ما تنمى به أن تستعان في تأديبه وتهذيبه.

وليعلم أن أول ما يغلب على الطفل شره الطعام فينبغي أن يؤدب في ذلك وأن يعود أخذ الطعام بيمينه والبدء باسم الله والأخذ بما يليه...وأن يقبح عنده كثرة الأكل بطريق غير مباشرة وذلك بذم الطفل الشره ومدح المتأدب القليل الأكل أمامه.

-تعويده اللباس المحتشم الوقور.

[1]. المصدر نفسه، ج3، ص72.70.

-الثواب والعقاب، والمدح أمام الناس، ولا يكون العقاب لكل أمر بل الأفضل التغافل والتغاضي عن بعض الأمور ولاسيما إذا خجل الطفل منها وتستر لإخفائها ولايكون العقاب علنا حتى لاتزيد جسارة الطفل وليكن العقاب قليلاً مجزياً لئلا يهون على الطفل وقع الملام وسماع التأنيب.

-منعه من النوم نهاراً. ومن كل مايفعله خفية فإنه لايخفى إلا ماهو قبيح.

-تعويده على الحركة والرياضة والاحتشام.

-منعه من الافتخار على أقرانه بما يملكه والده وتعويده التواضع وطيب الحديث.

-تعويده الإعطاء لا الأخذ ولو كان فقيراً.

-نهيه عن بعض الأعمال غير المستحسنة في المجالس كالبصاق والتثاؤب.

-منعه من القسم صادقاً أو كاذباً.

-تعويده الإقلال من الكلام إلا لحاجة أو ضرورة وبقدر مايتطلب قضاؤها.

-تعويده على الصبر.

-أن يأذن له باللعب بعد الدراسة حتى يستريح ويتجدد ذكاؤه ونشاطه وكيلا يستثقل العلم.

-وليخوف من السرقة وأكل الحرام وغير ذلك من الأخلاق المذمومة.

-وإذا بلغ سن التمييز فينبغي أن لايتساهل معه في كل مايحتاج إليه أمر الشرع.

وكما أن الغزالي يهتم كثيراً برياضة النفس على مايرغب المرء فيه من مكارم الأخلاق، ويرى أيضاً أن كسب الخلق بسبب التخلق من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح، ويقول في ذلك: "كل صفة تظهر في القلب يفيض أثرها على الجوارح حتى لاتتحرك إلا على وفقها لامحالة. وكل فعل يجري على الجوارح فإنه قد يرتفع منه أثر إلى القلب. ويعرف ذلك بمثال: وهو أن من أراد أن يصير الحذق في الكتابة صفة نفسية له حتى يصير كاتباً بالطبع، فلا طريق له إلا أن يتعاطى بجارحة اليد مايتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة، يحاكي الخط الحسن، فيتشبه بالكاتب تكلفاً ثم لايزال يواظب عليه حتى يصير صفة راسخة في نفسه، فيصدر منه في الآخر الخط الحسن طبعاً، كما كان يصدر منه في الابتداء تكلفاً. فكان الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسناً. ولكن الأول بتكلف، إلا أنه ارتفع منه أثر إلى القلب. ثم انخفض من القلب إلى الجارحة، فصار يكتب الخط الحسن بالطبع. وكذلك من أراد أن يصير فقيه النفس، فلا طريق له إلا أن يتعاطى أفعال الفقهاء، وهو التكرار للفقه. حتى تنعطف منه على قلبه صفة الفقه، فيصير فقيه النفس"[1].

[1]. الغزالي، ميزان العمل، ص106.

ويتضح مما سبق أن الغزالي يرى أن الكبيرة الواحدة لاتوجب الشقاء المؤبد، لأنها بدون التكرار لاتصبح صفة النفس، ولامعنى للشقاء المؤبد إلا أن تصير إحدى الرذائل صفة نفسية لأحد الناس.

غاية الأخلاق:

إن غاية الأخلاق عند الغزالي هي السعادة الأخروية ليصل في الآخرة إلى السعادة المنشودة متنعماً بالنظر إلى الله تعالى يقول الغزالي في ذلك: "إن السعادة الحقيقة هي الأخروية، وماعداها سميت سعادة، إما مجازاً وإما غلطاً، كالسعادة الدنيوية التي لاتعين على الآخرة. وإما صدقاً، ولكن الأسم على الأخروية أصدق، وذلك كل مايوصل إلى السعادة الأخروية ويعين عليها، فإن الموصل إلى الخير والسعادة، قد يسمى خيراً وسعادة"[1].

وهذا يدل على أن الغزالي لا يضع للأخلاق غاية نفعية ولا اجتماعية فعنده مثلاً: "الذي يسعف مريضاً، أو يغيث ملهوفاً، أو يسعف جريحاً، أو يواسي فقيراً، لا يهمه شفاء المريض، ولا إغاثة الملهوف، ولا إبراء الجريح، ولا سد حاجة الفقير، مادامت نيته قد خلصت في عمله، ووثق بجزاء الآخرة! وكل سعادة ينتجها العمل الطيب في هذه الدنيا إنما هي سعادة مجازية، وواجب المرء أن يفهمها كذلك. وله أن يعدها سعادة نسبية، على معنى أن مايوصل إلى السعادة الأخروية قد يسمى خيراً

[1]. المصدر نفسه، ص117.

وسعادة"[1] ولذلك فأن "من يتجنب الفحشاء محافظة على كرامته لا يسمى عفيفاً، لأنه لم يقصد بعفته وجه الله، فكل عمله تجارة، وترك حظ لحظ يماثله"[2].

وعلى الرغم من تأكيد الغزالي على أن خير الآخرة وسعادتها هما غاية الأخلاق، ولكنهما الغاية القصوى لها، فإن للأخلاق _في نظره _ غاية دنيوية هي أيضاً الخير والسعادة في هذه الدنيا التي نعيشها، وهذا واضح في سابق كلامه، وليس هذا فحسب، بل لقد أفرد فصلاً خاصاً ليبين أيضاً أن خير الدنيا غاية أخلاقية، جاعلاً عنوان هذا الفصل: **(بيان البواعث على تحري الخيرات والصوارف عنها)** وفيه يقول: "أما الخيرات الدنيوية فالبواعث عليها ثلاثة أنواع: الترغيب والترهيب بما يجري ويخشى في الحال والمآل. والثاني رجاء المحمدة وخوف المذمة ممن يعتد بحمده وذمه، والثالث طلب الفضيلة وكمال النفس، لأنه كمال وفضيلة، لا لغاية أخرى وراءها"[3] ومن ذلك نرى بأن الإمام الغزالي يعتبر خيري الدنيا والآخرة غاية للأخلاق، فخير الآخرة لأنه مطلق ما بعده خير، وخير الدنيا لما فيه من بواعث نفسية واجتماعية وعقلية. وهذا يعني تسلسل القيم صعداً من خير الدنيا إلى خير الآخرة كذلك الأمر في السعادة، فسعادة الآخرة هي الغاية القصوى للفعل الأخلاقي، وسعادة الدنيا غاية أخلاقية أيضاً لأن ما يوصل إلى الخير والسعادة خير وسعادة، "ولأن سعادة الآخرة لا تنال إلا بأنواع السعادات الأخرى" وهذا ما كشف عنه عند حديثه عن أنواع السعادة قائلاً:

---

[1]. زكي مبارك، الأخلاق عند الغزالي، ص56.

[2]. الغزالي، ميزان العمل، ص136

[3]. الغزالي، ميزان العمل، ص136.

"فجملتها منحصرة في خمسة أنواع: الأول السعادة الأخروية، التي هي بقاء لا فناء له، وسرور لا غم فيه، وعلم لاجهل معه، وغنى لافقر معه يخالطه، ولن يتوصل إليه إلا بالله، ولا يكمل إلا بالنوع الثاني،وهو الفضائل النفسية وهي أربع: العقل والعفة والشجاعة والعدالة وإنما تتكامل هذه الفضائل بالنوع الثالث، وهي الفضائل البدنية المنحصرة في أربع أمور: هي الصحة والقوة والجمال وطول العمر، ويتمّمها النوع الرابع، وهي الفضائل المطيفة بالإنسان، المنحصرة في أربعة أمور. وهي المال والأهل والعز وكرم العشيرة، ولا يتم الانتفاع بشيء من ذلك إلا بالنوع الخامس، وهي الفضائل التوفيقية، وهي أربعة: هداية الله ورشده وتسديده وتأييده، فهذه السعادات بعد السعادة الأخروية"[1].

الفضائل وأقسامها عند الغزالي:

لم يحاول الغزالي بحث الفضائل بشكلها المطلق ولاعني بها من حيث هي مبادئ وإنما مال إلى معالجتها بصفتها التطبيقية من جهة ارتباطها بالتعليم الديني، فالفضيلة عنده ممارسة تؤدي إلى تزكية النفس باعتياد الأفعال الصادرة من النفوس الزكية العاقلة حتى إذا صار ذلك مألوفاً بالتكرار وبزمن متقارب تشكلت منها ملكة راسخة في النفس، فهي اعتدال ووسط بين طرفين من رذلين ويؤكد ذلك قائلاً: "والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان"[2].

كما أن الغزالي لايفرق بين كلمة فضيلة، وكلمة خلق، فهما عنده عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة، فالفضيلة حالة كمال للنفس تنالها إذا اعتدلت قواها فلم

---

[1]. المصدر نفسه، ص137.136.

[2]. الغزالي، إحياء علوم الدين، ج1، 31.

تجنح إلى الإفراط أو التفريط، وإذا كان للقوة العاقلة سياسة القوتين الأخريين. هذا الكمال إذا تم للنفس قربت من الله عزوجل بالمرتبة طبعاً لا بالمكان، وذلك السعادة[1].

والفضائل وإن كانت كثيرة، فيجمعها أربع، تشمل شعبها وأنواعها، وإذا كان من المعروف أن للنفس ثلاث قوى، كانت أمهات الفضائل أربعاً؛ تنشأ ثلاث منها من اعتدال كل قوة من هذه القوى، وتكون الرابعة بانسجام هذه القوى بعضها مع بعض حتى لا تبغى واحدة منها على الأخرى. وأصول هذه الفضائل، التي هي جماع كل خير، وهي: الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدالة.

وقد نص على أنه يعني بالحكمة حال للنفس بها يدري الصواب من الخطأ في جميع الأحوال الاختيارية. ويعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملهما على مقتضى الحكمة. ويعني بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة للعقل في إقدامها وإحجامها. ويعني بالعفة تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع.

ولهذه الأصول فروع، كما يرى الغزالي، "فمن اعتدال قوة العقل يحصل حسن التدبير، وجودة الذهن، وثقاب الرأي، وإصابة الظن، والتفطن لدقائق الأعمال، وخفايا أفات النفوس. وأما خلق الشجاعة فيصدر عنه: الكرم، والنجدة والشهامة، وكسر النفس، والاحتمال، والحلم، والثبات، وكظم الغيظ، والتودد. وأما خلق العفة فيصدر عنه: السخاء، والحياء، والصبر، والمسامحة، والقناعة، والورع، واللطافة،

[1]. الغزالي، ميزان العمل، ص79.

والمساعدة، والظرف، وقلة الطمع. والعدالة في أخلاق النفس وقواها يتبعها لامحالة العدل في المعاملة، وفي السياسة، وفي عامة الحالات"[1].

ويجب علينا هنا أن نشير إلى أن العدالة جماع كل فضيلة، كما أن الجور جماع كل رذيلة، وعلى هذا لاتكون العدالة واحدة من الفضائل الأربع بل تكون جملتها معاً[2].

درجات الأخلاق:

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل في مقدور المرء لدى الغزالي أن يصل إلى أعلى درجات الأخلاق؟

ويجيب الغزالي عن ذلك بقوله: "وكل من جمع كمال هذه الأخلاق استحق أن يكون بين الخلق ملكاً مطاعاً يرجع الخلق كلهم إليه، ويقتدون به في جميع الأفعال. ومن انفك عن هذه الأخلاق كلها واتصف بأضدادها استحق أن يخرج من بين البلاد والعباد"[3].

ويشير الغزالي إلى أن النبوة هي الدرجة العليا من درجات الأخلاق، والصوفية فيما يرى يقربون من هذه الدرجة، يقول عنهم في المنقذ من الضلال: "لو جمعوا عقل العقلاء، وحكمة الحكماء، وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء، ليغيروا شيئاً من سيرتهم وأخلاقهم، ويبدلوه بما هو خير منه، لم يجدوا إليه سبيلاً: فإن

[1]. انظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص40.39، الغزالي، ميزان العمل، ص64 وما بعدها.

[2]. انظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص78. الغزالي، معارج القدس، ص96.

[3]. الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص54.

جميع حركاتهم وسكناتهم، في ظاهرهم وباطنهم، مقتبسة من نور مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به"[1].

الخاتمة:

ونستنتج مما سبق ان الغزالي اخذ مفهوم الخُلق واشتغل على تحليله بأنه نظرة منهجية جامعة لا تكتفي بالنظرة الجزئية المختصره ة، وإنما تنظر إلى الفكر نظرة شاملة مستوعبة، تحدث من خلالها عن عناصر الفعل الخلقي، كما اتخذه منطلقًا لحديثه عن قبول الخلق للتغيير.

كما أنه قدم مفهومه للخلق من خلال رؤية إسلامية أصيلة تؤكد أنه لا بد من أن يوزن الخلق بميزان الشرع والعقل، وليس العقل فقط كما نراه عند غيره من الفلاسفة. وتتفق نظرة الغزالي هذه مع الموقف الفكري العام له، والذي يقوم على العلاقة الوثيقة بين العقل والشرع، فالعقل يهتدي بالشرع الذي يُعلِّمه ما لا يستطيع أن يصل بنفسه إلى علمه، والشرع يُفْهَم عن طريق العقل، فالعقل كالبصر، والشرع كالشعاع، ولا يتمكن الإنسان من الرؤية إلا بهما، فإذا اجتمعا معًا فهما نور على نور.

وعلى الرغم من تأكيد الغزالي على أن خير الآخرة وسعادتها هما غاية الأخلاق، ولكنهما الغاية القصوى لها، فإن للأخلاق _في نظره _ غاية دنيوية هي أيضاً الخير والسعادة في هذه الدنيا التي نعيشها.

[1]. الغزالي، المنقذ من الضلال، ص39.

المصادر والمراجع:

-الغزالي، (محمد بن محمد الغزالي أبوحامد): إحياء علوم الدين، تحقيق: بدوي طبانة، مكتبة ومطبعة كرياطة فوترا.

-الغزالي، ميزان العمل، حققه سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى، 1964

-الغزالي، المنقذ من الضلال، تحقيق: سعد كريم الفقي، دار ابن خلدون، الإسكندرية

-الغزالي، معارج القدس، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1988م

-إسلام (عزمي)، جون لوك، دار الثقافة، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1976م

-الجرجاني (علي بن محمد بن على الجرجاني)، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1405

-زكي مبارك، الأخلاق عند الغزالي، دار الجيل، بيروت،ط1، 1988م

-علي عبدالفتاح المغربي، دراسات عقلية وروحية في الفلسفة الإسلامية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1995م

-محمود حمدي زقزوق، مقدمة في علم الأخلاق، دار القلم، الكويت، ط3، 1983م